الصباح الإسلامية
09
العدد 2183 - السنة الثامنة
الإثنين 21 شعبان 1436 - الموافق 8 يونيو 2015
Monday 8 June 2015 - No.2183 - 8th Year

الله تعالى أوجب لنبينا حقوقًا على العالمين جميعًا لعموم دعوته وأبديتها

جريمة التعرض للنبي.. العاقبة والعواقب

- فرض الله على العالمين الإيمان بالنبي محمد وتصديق دعوته
- تحريم معاداة الرسول تستلزم الكف عن إيذائه وإهانته والتعرض لدعوته
- الاعتداء على مقامه من الجرائم التي لها عقوبة مقدرة في الدنيا و الآخرة

- ضعف المسلمين أتاح الفرصة لاعدائهم للشّتم والسّب في أفضل الخلق
- النبي مع كثرة إيذاء المشركين له وسوء أدبهم معه لم يرض لهم بالعذاب
- المواثيق الدولية لم تنص على حماية الرسل والأنبياء لضعفها وهشاشتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، إمام النبيين، و حبيب رب العالمين، وصفيه من خلقه أجمعين، ورحمته لكل العالمين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد

فإن الله تعالى أوجب لنبينا صلى الله عليه وسلم حقوقًا على العالمين جميعًا ؛وذلك لعموم دعوته، وأبديتها، وكونه صلى الله عليه وسلم رحمة ليس للمسلمين أو المؤمنين، وإنما للعالمين جميعًا، فأوجب على العالمين جميعًا أمرين:أولهما: وجوب الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتصديق دعوته.

ثانيهما: تحريم معاداته التي تستلزم الكف عن إيذائه، وإهانته ظاهرًا، أو التعرض لدعوته، بأيّ لون من ألوان الإهانة والإيذاء، ورتب على كل واحدة من هاتين احكامًا في الدنيا والآخرة.

فأما الأمر الأول فهو: وجوب الإيمان به، فيترتب عليه:وجوب طاعته، وحبه، وتوقيره، وإجلاله، واتباعه، والتمسك بسنته، كي نكون من أمته، التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأن من لم يؤمن به، فهو كافر به وبدعوته، ويكون من أهل الجحيم والسعير.

وأما الأمر الثاني: وهو عدم معاداته، وما يترتب عليه من وجوب الكف عن إيذائه، أو إظهار عدائه، ومعاداته صلى الله عليه وسلم، وإلا فإنهم إن فعلوا ذلك كانوا معرضين للعذاب الأليم والمهين في الآخرة، ولا ينالون من شفاعته شيئا، ويشتد عليهم غضب الله تعالى؛ولهذا كان إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو إهانته، أو الاعتداء على شريف مقامه، جريمة من أكبر الجرائم، التي لها عقوبة مقدرة في الدنيا، فضلاً عن اللعن والعذاب المهين في الآخرة، وقد نبّه إلى ذلك كثير من العلماء، واعتبروها من جرائم الحدود، باعتبار انها جريمة وصلت إلى غاية الجرم والقبح، ولا يوجد جريمة ابشع وأقبح منها؛ لأن من تجرأ على الاعتداء على النبي صلى الله عليه وسلم فقد اعتدى على الله عز وجل، ومن يحارب الله فقد استوجب الغضب واللعنة، وحرم من رحمة الله الواسعة، فإنّ من يجترئ على عصمة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، ويحاول أن ينال من شرف مقام النبي العظيم صلى الله عليه وسلم، فليس له من دون الله من ولي ولا شفيع، ولا نصير، مع انّ الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصيبه من ذلك أذى أو سوء ؛لأنّ الله رفع قدره، وذكره ومقامه فوق كل مقام وبالرغم من شدة جرم الاعتداء على الرسول الكريم، وبشاعة الاستهزاء بشخصه المطهر صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من أنّ الله ارسله رحمة للعالمين جميعًا، في الدنيا والآخرة، فقد تجرأ بعض من يزعمون المدنية، ويزعمون أنهم نصارى والمسيح منهم براء، ومن يزعمون أنهم على دين، ولا دين لهم إلا الطاغوت والشيطان، وقد بلغ الأمر ذروته عندما زعم بابا روما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت إلا بما هو شر، وأن الإسلام انتشر بحد السيف، وسواء كان ذلك من فكره، أو عبارة رددها لأحد الكتاب في العصور الوسطى المظلمة على أوربا، فقد ظلم وأساء، وجهل واقترى، وكان بذلك معبرًا عن جهله، وسوء علمه، وظلام ثقافته وفكره، وعن حلقة الصراع الدائم اليوم بين الشرق والغرب، فهؤلاء الكفرة بصنيعهم هذا وإصرارهم عليه، وتزايدهم في باطلهم يومًا بعد يوم، حيث لم يعهد مثل ذلك في التاريخ، ولم تشهد الدنيا مثل تلك المدنية والحضارة، التي تستبيح الحرمات، وتعتدي على المقدسات، وتقتل وتسفك الدماء الطاهرة يومًا بعد يوم، وتحتل بلاد المسلمين وتنصرها أو تهودها، أمر بدا ظاهرًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فالنهاية الهزيمة عندما يستحق المسلمون النصر والمصير جهنم، فهذا وعد لن يتخلف، ومهما ازدادوا في غيهم وطغيانهم، ومهما انفقوا من أموال ليصدوا عن سبيل الله، فستكون عليهم حسرة في الدنيا والآخرة.

والله أسال أن ينصر المسلمين ويردهم إلى دينه، ويمكن لهم ويعزهم بدينه ونصره، إنه هو العزيز الحكيم، وفي هذا البحث سوف أتناول حكمًا مما قد جهله كثير من الناس، وهو حكم الاعتداء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالسب والشتم ونحوه، والعقوبات الواجبة على من يفعل ذلك سواء كان الفاعل مسلمًا، أو كافرًا، ذميًا، أو حربيًا ولا يخفى ما لهذه المسائل من الأهمية التي ينبغي إيضاحها.

وتتلخص الأسباب للكتابة في هذا الموضوع فيما يلي:

1 – ان هذه الأحكام الخاصة بسب الأنبياء وخاصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد غفل عنها أو جهلها كثير من الناس، في ظل هذا الواقع الذي ضعف فيه المسلمون، وتفرّقت كلمتهم، وغلبوا على أمرهم، حتى أتيحت الفرصة للأعداء– قبحهم الله – أن تعلوا أصواتهم بالشتم والسب في أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم.

2 – قد لا يعلم كثير من الناس أن سبّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام له أحكام خاصة، تختلف عن سبّ غيرهم، فهي جريمة حدية لها عقوبة منصوص عليها شرعًا، لا يجوز لأحد أن يهملها، أو يعطلها، تعظيمًا لحرمة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم وكل الأنبياء عليهم السلام.

3 – من الضروري معرفة تلك الأحكام الخاصّة بسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكل الأنبياء، لكل مسلم؛ حتى يتجنبها ؛ لأن لها حرمة كبيرة، ولا يُعذر فيها بالجهل، وأن معرفتها من العلم الواجب على كل مسلم ؛لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب اتفاقا ؛ لتعلقها بالنبي الأعظم، وارتباطها بحقوقه صلى الله عليه وسلم على الأمة، وأنه لو علم هؤلاء المعتدون حقيقة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وطبيعة رسالته، وأنّه صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة ليس للمؤمنين فحسب، وإنما للعالمين جميعًا، وأن بعثته صلى الله عليه وسلم رحمة للكافة في الدنيا والآخرة، وأنه صلى الله عليه وسلم كان كذلك لفرط رحمته، وشفقته على العالمين، وقد روى أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة».

وأنه صلى الله عليه وسلم مع كثرة إيذاء المشركين له، وسوء أدبهم معه لم يرض لهم بالعذاب، ولم يلعنهم، ولم يدع عليهم وإنما كان يدعو لهم بالهداية والإسلام، ففي كل ذلك وغيره بيان بعظمة الإسلام والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، التي تستوجب الاحترام والتقدير للأبد.

4 – في مقارنة ما وضعه الإسلام لحماية الرسل والأنبياء جميعًا بما في المواثيق الدولية والإعلانات العالمية، والتي ترعى حقوق الإنسان والحريات العامة ما يؤكد للعامة قبل الخاصة أن الإسلام دائمًا سباق لحماية البشرية ممّا يؤدي لتدهور العلاقات الإنسانية بين البشر، لاسيما إذا كان السبب فيها العنصرية والتعصب، والتفرقة التي لا مبرر لها، فلا يوجد دين أو قانون يحمي الحقوق كما في الإسلام، وليس أدل على ذلك من أن نصوص القانون الدولي والمواثيق الدولية الحامية لحقوق الإنسان لم تنص صراحة – بقصد أو بدون قصد– على حماية الرسل والأنبياء، وتجريم التطاول عليهم ؛وهذا لأن العمل البشري دائمًا مشوّب بالنقص والسهو والخطأ، بخلاف التشريع الإلهي، فهو الكامل الشامل دائمًا وأبدًا.

خسران في الدنيا والآخرة.. وإفلاس من الخير والحسنات

« وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً »

- دعـــوة المظلوم ليست بينها وبين الله حجاب.. وتصعد إلى السماء كأنها شرارة
- من أشد أنواع الظلم مماطلة الناس بحق عليك لهم مع قدرتك على الوفاء

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

و قال تعالى في سورة طه: «وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا» في هذه الوصية يحذرنا النبي صلى الله عليه و سلم من الظلم و عاقبته و يأمرنا أن نتجنبه بالخوف من الله تعالى في السر و العلانية.

الترهيب من الظلم و مال الظالمين

و قد عاقب الله تعالى الظالمين و قص علينا قصصهم ليكونوا عبرة لمن يعتبر قال تعالى في سورة ابراهيم: «وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ» «42–45».

و عن ابي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته «ثم قرأ «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ»–سورة هود آيه 102» متفق عليه.

و عن جابر بن عبد الله قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» قال فتية منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي و جمع الله الأولين و الآخرين و تكلمت الأيدي و الأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم كيف أمري و أمرك عنده غدا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم» «حسن: اخرجه ابن ماجه «2 / 401» و قال الالباني:حسن».

و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث معاذا إلى اليمن فقال: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب» «متفق عليه».

و عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة» «صحيح: رواه الحاكم».

و عن خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله: و عزتي و جلالي لأنصرنك و لو بعد حين» «صحيح: رواه الطبراني».

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» «صحيح مسلم».

عم وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: «بني جبار من الجبابرة قصرا و شيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوي إليه فركب الجبار يوما و طاف حول القصر فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟

فقيل: لامرأة فقيرة تأوي إليه فآمر به فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت: من هدمه؟

فقيل: الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء.

و قالت: يا رب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟

قال: فآمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه» «الكبائر للذهبي– 118».

أنواع الظلم:

للظلم أنواع لا تحصى و من أكثرها شيوعاً

المماطلة بحق عليك مع قدرتك على الوفاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «مطل الغني ظلم» «متفق عليه» أراد بالغني: القادر على الأداء ولو كان فقيرا.

ومطله منع أداءه وتأخيره و المقصود من الحديث أن المماطلة في إعطاء الغني حقه ظلم و إذا كانت مماطلة الغني في حقه ظلم فبالأولى مماطلة الفقير المحتاج في حقه ظلم اكبر لذلك اختص النبي صلى الله عليه و سلم الغني بالذكر حتى يؤكد على تحريم المماطلة سواء كان صاحب الحق غنيا أو فقيرا حيث حرمت و إن كان صاحب الحق غير محتاج فبالأولى تحريمها إن كان محتاجا.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار و حرم عليه الجنة».

قيل: «يا رسول الله و إن كان شيئا يسيرا؟»

قال: و إن كان قضيبا من اراك «متفق عليه»

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

«الجلحاء»: التي لا قرن لها «رواه مسلم».

عدم إعطاء الأجير أجره:

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره» قوله: «أعطى بي ثم غدر »: أي عاهد عهدا وحلف عليه بالله ثم نقضه و كذلك إذا ظلم يهوديا أو نصرانيا أو انقصه أو كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فهو خصم لله تعالى.

ظلم المرأة في حقها من صداقها و نفقتها و كسوتها:

لأن هذا يدخل في قوله صلى الله عليه و سلم: لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» «لي الواجد»: بفتح اللام وتشديد التحتية، والواجد بالجيم أي مطل القادر على قضاء دينه والمعنى إذا مطل الغني عن قضاء دينه يحل للدائن أن يغلظ القول عليه ويشدد في هتك عرضه وحرمته.

معاونة الظلمة في ظلمهم:

قال تعالى: «وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ» – «سورة هود آية 113» و الركون هنا بمعنى السكون إلى الشيء و الميل اليه بالمحبة و قال السدي في هذه الآية الكريمة: لا تداهنوا الظلمة و عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون فمن أعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولا أنا منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأنا منه وهو مني » «رواه أحمد» و قال صلى الله عليه و سلم: «لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدافعوا عنه» «رواه الطبراني و البيهقي بإسناد حسن».

و من الآثار قصة رجل من اعوان الظلمة رأى صيادا و قد اصطاد سمكة كبيرة فأخذها منه عنوة فبينما هو عائد الى بيته يحملها عضت على ابهامه فما نام ليلتها من الالم ثم ذهب الى الطبيب فقال له انه اصيب بداء الأكلة و لابد من بتر الإبهام فبتره ثم عاوده الالم و انتشر الى الكف ثم الى الساعد ثم الى المرفق ثم الى العضد فقطع يده من كتفه حتى لا يسري في باقي جسده فنصحه الناس ان يسترضي صاحب السمكة ليرحمه الله مما هو فيه فذهب اليه و اعتذر له و استرضاه ثم سأله: يا سيدي بالله هل كنت قد دعوت علي لما أخذتها؟ قال الصياد: نعم قلت: «اللهم إن هذا تقوى علي بقوته على ضعفي على ما رزقتني فللما فارني قدرتك فيه» فقال الرجل: يا سيدي قد أراك الله قدرته في و أنا تائب إلى الله عز و جل عما كنت عليه من خدمة الظلمة و لا عدت أقف لهم على باب و لا أكون من أعوانهم ما دمت حيا «الكبائر للذهبي».

و عن أبي قلابة قال: «كنت في رفقة بالشام و سمعت صوت رجل يقول: «ويلاه من النار» قال: فلفت اليه و إذا هو رجل مقطوع اليدين و الرجلين من الحقوين أعمى العينين منكبا لوجهه فسألته عن حاله فقال: «إني كنت ممن دخل على عثمان الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان رضي الله تعالى عنه و ارضاه: مالك. قطع الله يديك و رجليك و أعمى عينيك و ادخلك النار» فأخذتني رعدة عظيمة و خرجت هاربا فأصابني ما ترى و لم يبق من دعائه إلا النار قلت له: بعدا لك و سحقا «الرياض النضرة في مناقب العشرة تحقيق د.حمزة النشرتي».

دقة الحساب

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: «أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار و عنده مظلمه ان اقصه حتى اللطمه فما فوقها» قلنا: يا رسول الله كيف و إنما يأتي حفاة عراة؟

قال: بالحسنات و السيئات جزاءً و فاقا «ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» «سورة الكهف آية 49».

و قد قال تعالى في سورة الكهف: «وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا».

كفانا الله و إياكم شر الظلم و أهله